حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

لابن قيم الجوزية

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٥١

مكتبة المتنبي
القاهرة

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه الإعانة)

(الحمد للّه) الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً * ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً * وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً * خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً * وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وجلالها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البشر، على لسان خير البشر، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً.

(والحمد للّه) فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم همالاً، بل خلقهم لامر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، وعمر لهم دارين فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبلغ سوى ربه الكريم بدلاً، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً.

(الحمد لله) الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً. (فهذا) عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وأشهد) أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمتـه، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته. (وأشهد) أن محمداً عبـده ورسولـه. وأمينه على وحيـه وخيرتـه من خلقه، أرسله رحمـة للعـالمين، وقـدوة للعـاملين ومحجـة للسـالكين، وحجـة على العبـاد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً، وإلى دار السلام داعياً، وللخليقة هادياً، ولكتابه تالياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكـر ناهيـاً، أرسله على حين فترة من الـرسل، فهـدى به إلى أقـوم الطرق، وأوضـح السبل، وافتـرض على العباد طـاعته ومحبته، وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميـع الطرق فلم يفتحهـا لأحد إلاّ من طريقه: فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين، (فسبحان) من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكـره، وجعل الـذلة والصغـار على من خالف أمره. فدعا إلى اللّه وإلى جنته سراً وجهاراً، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتهـا، وتألفت بـه القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسناً، وأصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه ونصـح عباده، وجـاهد في الله حق جهـاده، خيره بين المقـام في الدنيـا وبين لقائـه والقدوم عليه، فاختار لقـاء ربه محبـة له وشـوقاً إليـه، فاستـأثر بـه ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحل الأرفع الأسنى، وقـد ترك أمتـه على الواضحـة الغراء، والمحجـة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعـه على أثره إلى جنـات النعيم، وعدل الـراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم: ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم**﴾. (فصلى الله) وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمـنون عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به ودعا إليه.

(أما بعد) فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى، بـل خلقهم لأمر عظيم، وخـطب جسيم، عرض على السمـوات والأرض والجبال فـابين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغى بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله؛ وباء به على ظلمه

وجهله، فالقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلة، والخدع الكاذبة * فخدعهم طول الأمل * وران على قلوبهم سوء العمل، فهمهم في لذات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحتْ أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا. وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من اللّه ولا رضوانا * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه * وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت اشد قلقه لخراب داته وذهاب لذاته. لا لما سبق من جناياته. وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته. فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

(فصل)

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينقد بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً. الامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض،

بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، والبكار أعربا أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيآت الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، ولنهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا، وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً، وسيق المجرمون إلى جهنم وردا، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وأدخر لهم من الفضل والأنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلى أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال، فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتنعمون، وبأنواع الثمار يتفكهون، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون؛ جزاء بما كانوا يعملون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلب ولا أسنام إلا أفراد من العباد، فواعجباً لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها،

وكيف طاب العيش في هذه الدار، بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين.

(شعر في وصف الجنة)

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد المز ... يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة اهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خجلة الفجرين[1] حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند صمها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد ... فيا عجباً من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها إن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً ... فهذا زمان المهر فهو المقدم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها ... تيقن حقاً أنه ليس يهرم
وكن مبغضاً للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم
وكن أيما ممن سواها فإنها ... لمثلك في جنات عدن تأيم
وصم يومك الأدنى لعلك في غد ... تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وأقدم ولا تقنع بعيش منغص ... فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فأنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكم
وحي على السوق الذي فيه يلتقي الـ ... ـمحبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح ... وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ... ومن خالص العقيان لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً ... لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا همو في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
ذاهم بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم ... بآذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما ... تريدون عندي انني أنا أرحم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا ... فأنت الذي تولى الجميل وترحم
فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم ... عليه تعالى اللّه فاللّه أكرم
فيا بائعاً هذا ببخس معجل ... كأنك لا تدري، بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

(فصل)

وهـذا كتاب اجتهـدت في جمعه وتـرتيبه * وتفصيله وتبـويبه، فهـو للمحزون سلوة. وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة. محرك للقلوب. إلى أجل مطلوب. وحاد للنفوس. إلى مجاورة الملك القدوس. ممتع لقارئه. مشـوق للناظـر فيه. لا يسـأمه الجليس. ولا يمله الأنيس. مشتمل من بدائع الفوائد. وفرائد القلائد. على من لعل المجتهد في الطلب. لا يظفر به فيما سـواه من الكتب مع تضمينـه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات. والآثار الموقوفات. والأسـرار المودعـة في كثير من الآيـات، والنكت البديعات. وإيضـاح كثير من المشكـلات. والتنبيه على أصـول من الأسماء والصفات. إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً. وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً. فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات. وباعث الهمم العليـات. إلى العيش الهني في تلك الغرفات (وسميته حادي الأرواح. إلى بلاد الأفراح) فإنه اسم يـطابق مسماه. ولفظ وافق معناه. واللّه يعلم ما قصدت. وما بجمعه وتأليفه أردت. فهو عند لسان كل عبد وقلبه. وهو المطلع على نيته وكسبه. وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة. بما أعد اللّه لهم في الجنة. فأنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ونعم اللّه عليهم باطنة وظاهرة. وهم أولياء الرسول وحزبه. ومن خـرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه. لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام. والسنه أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً. أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سيـاسياً. فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فبـاب الصواب عليـه مسدود. وهـو عن طريق الـرشاد مصدود. فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه. ولك صفوه. وعليه كـدره. وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك. وبنات أفكـاره تزف إليـك. فإن صـادفت كفؤاً كـريماً لم تعـدم منه إمسـاكاً بمعـروف أو تسريحـاً بـإحسـان. وإن كـان غيـره فـاللّه المستعـان. فما كـان من صـواب فمن الـواحـد المنـان . ومـا كـان من خـطأ فمني ومن الشيـطان . واللّه بـريء منـه ورسـولـه وقـد قسمت الكتـاب سبعين بـابـاً (الباب الأول) في بيان وجـود الجنة الآن (البـاب الثاني) في اختـلاف الناس في الجنـة التي أسكنها آدم هـل هي جنـة الخلد أو جنـة في الأرض (البـاب الثـالث) في سيـاق حجج من ذهب إلى أنهـا جنة الخلد (البـاب الرابـع) في سيـاق حجـج

الطائفة التي قالت أنها في الأرض (الباب الخامس) في جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم (الباب السادس) في جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم (الباب السابع) في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد (الباب الثامن) في الجواب عما احتجوا به من الشبه (الباب التاسع) في ذكر عدد أبواب الجنة (الباب العاشر) في ذكر سعة أبوابها (الباب الحادي عشر) في صفة أبوابها (الباب الثاني عشر) في ذكر مسافة ما بين الباب والباب (الباب الثالث عشر) في مكان الجنة وأين هي (الباب الرابع عشر) في مفتاح الجنة (الباب الخامس عشر) في توقيع الجنة ومنشورها الذي يكتب لأهلها (الباب السادس عشر) في بيان توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد (الباب السابع عشر) في درجات الجنة (الباب الثامن عشر) في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة (الباب التاسع عشر) في عرض الرب تعالى سلعته على عباده وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين [illegible] ربهم الخ (الباب العشرون) في طلب الجنة أهلها من ربهم. وشفاعتها فيهم وطلبهم لها (الباب الحادي والعشرون) في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها (الباب الثاني والعشرون) في عدد الجنات وأنواعها (الباب الثالث والعشرون) في خلق الرب تعالى لبعضها بيده (الباب الرابع والعشرون) في ذكر بوابيها وخزنتها (الباب الخامس والعشرون) في ذكر أول من يقرع باب الجنة (الباب السادس والعشرون) في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة (الباب السابع والعشرون) في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم (الباب الثامن والعشرون) في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أصناف أهل الجنة التي ضمنت لهم دون غيرهم (الباب الثلاثون) في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ (الباب الحادي والثلاثون) في أن النساء في الجنة والنار أكثر من الرجال (الباب الثاني والثلاثون) فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم (الباب الثالث والثلاثون) في ذكر حثيات الرب عز وجل الذين يدخلهم الجنة (الباب الرابع والثلاثون) في ذكر تربة الجنة وطينها وخصبائها ونباتها (الباب الخامس والثلاثون) في ذكر نورها وبياضها (الباب السادس والثلاثون) في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها (الباب السابع والثلاثون) في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك (الباب الثامن والثلاثون) في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها (الباب التاسع والثلاثون) في ذكر صفة أهل الجنة في

خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم (الباب الأربعون) في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم (الباب الحادي والأربعون) في تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها (الباب الثاني والأربعون) في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يوجد (الباب الثالث والأربعون) في الآذان الذي يؤذن به المؤمن فيها (الباب الرابع والأربعون) في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها (الباب الخامس والأربعون) في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها (الباب السادس والأربعون) في ذكر الزرع في الجنة (الباب السابع والأربعون) في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه (الباب الثامن والأربعون) في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه (الباب التاسع والأربعون) في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها (الباب الخمسون) في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم (الباب الحادي والخمسون) في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم (الباب الثاني والخمسون) في ذكر خدام أهل الجنة وغلمانهم (الباب الثالث والخمسون) في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وأوصافهن وحالهن الظاهر والباطن وجمالهن (الباب الرابع والخمسون) في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن (الباب الخامس والخمسون) في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذي والمني (الباب السادس والخمسون) في اختلاف الناس هل من الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين (الباب السابع والخمسون) في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين (الباب الثامن والخمسون) في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم (الباب التاسع والخمسون) في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا (الباب الستون) في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيها لأهلها (الباب الحادي والستون) في زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى (الباب الثاني والستون) في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة (الباب الثالث والستون) في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها (الباب الرابع والستون) في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها (الباب الخامس والستون) في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكاً إليهم سبحانه لا إله إلا هو (الباب السادس والستون) في تكليمه سبحانه لأهل

الجنة وخطا به لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم (الباب السابع والستون) في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد (الباب الثامن والستون) في ذكر آخر أهـل الجنة دخـولاً إليها (الباب التاسع والستون) وهو باب جامع فيه فصول منثورة (الباب السبعون) في المستحق لهذه البشارة دون غيره واللّه سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مدنياً لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم * وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباب الأول

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول اللّه ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فأنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت بل اللّه ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله اللّه، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة!! وشبعوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (قال) أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين، جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار باللّه وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند اللّه وما رواه الثقات عن رسول اللّه ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً وأن اللّه تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله

وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللّه يبعث من في القبور، وأن اللّه تعالى على عرشه، كما قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال ﴿**خلقت بيدي**﴾ وكما قال ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿**تجري بأعيننا**﴾ وأن له وجهاً كما قال ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ وأن أسماء اللّه تعالى لا يقال إنها غير اللّه كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن للّه علماً كما قال ﴿**أنزله بعلمه**﴾ وكما قال ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن اللّه كما تعتقد المعتزلة، وأثبتوا للّه القوة كما قال: ﴿**أو لم يروا أن اللّه خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ وقالوا إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء اللّه وأن الأشياء تكون بمشيئة اللّه كما قال تعالى ﴿**وما تشاؤن إلا أن يشاء اللّه**﴾ وكما قال المسلمون: ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن (وقالوا) إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم اللّه أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا اللّه تعالى، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم ولصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال[1]، ويلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال، ويقولون إن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ويقولون إن اللّه تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن اللّه تعالى محجوبون، قال اللّه تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ وأن موسى عليه السلام سأل اللّه سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وإن اللّه تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه

(١) وهو قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء اللّه .

بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر والإيمان عندهم هو الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه كما جاء في الحديث والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرون بأن اللّه مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول اللّه ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من اللّه لعباده حق، والوقوف بين يدي اللّه تعالى حق ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ويقولون أسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرضَ بالشرك وإن كان مريداً له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر؟» كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى اللّه والرسول**﴾ ويرون أتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به اللّه ويقرون أن اللّه تعالى يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ وأن اللّه، تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ويرون

العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث اللَّه نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال اللَّه تعالى وأن السحر كائن موجود في الدنيا ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات بأجله، وكذلك كل من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل اللَّه تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم اللَّه تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى اللَّه إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد وأن اللَّه تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد اللَّه تعالى ويرون الصبر على حكم اللَّه والأخذ بما أمر اللَّه تعالى والانتهاء عمى نهى اللَّه عنه، وإخلاص العمل للَّه والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة اللَّه في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وماتوفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير، والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق * وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى**﴾ وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره «ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة

المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة؟ فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك اللّه تعالى يوم القيامة» وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ـ فذكر الحديث بطوله: وفيه، فينادي مناد من السماء إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها» وذكر الحديث. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد اللّه ورسوله، قال فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّه به مقعداً في الجنة، قال نبي اللّه ﷺ فيراهما جميعاً». وفي صحيح أبي عوانة الاسفراييني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح «ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت اللّه تعالى أبدلك اللّه به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال أسكن» وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال: «شهدنا مع النبي ﷺ جنازة فقال رسول اللّه ﷺ أيها الناس أن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً ﷺ، فإن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن» وذكر الحديث وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خسفت الشمس في حياة رسول اللّه ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت ثم قام فخطب الناس فأثنى على اللّه بما هو أهله ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة» وقال رسول اللّه ﷺ: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت

جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت». وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه فقال أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت: فقال إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار لم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء؛ قالوا بم يا رسول الله؟ قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط» وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف قال «قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ما شأن هذه؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل» وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: «عرض علي كل شيء تولجونه فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها» وذكر الحديث. وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث: «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه». وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة «والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم» وذكر الحديث: وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني